التهديد بالمناورة البرية كعنصر مقرِّر حاسم

بقلم غيورا سيغال؛ مركز جافي؛ شباط ٢٠٠٨

إن المناورة البرية هي حركة القوات العسكرية المتصلة بعدو للحصول على مكسب ما سواء في كل من الزمان أو المكان. إن المناورة الفعالة تخدع العدو، تخل توازنه، وفي النهاية تتغلب عليه، في الوقت الذي تحافظ فيه على قوة المناورة. إن المناورة على الأرض مصمَّمة أيضاً لإستغلال النجاح، المحافظة على الحرية العملانية للعمل، وإحتواء الضعف. إن إستمرارية المناورة تخلق مشاكل جديدة للعدو، وتترجم نشاطه عدم فعالية. في النهاية، تؤدي المناورة الى هزيمة العدو.

فهل المناورات البرية هي الرد العملاني المركزي على تهديد حرب العصابات والإرهاب؟ ما الذي يُعتبر نصراً في حرب لا متماثلة؟ ما هي وظيفة المناورة على الأرض في هذا السياق؟ إن هذه المقالة تحاجج وتد على أن المناورة على الأرض مكون حاسم لتقرير الصراعات، سواء أكانت متماثلة أم لا، مكون لا يمكن تجاهله. أما مدى إستخدامها فيعتمد على التخطيط العملاني، إلا أن مبدأ إستخدامها يظل فعالاً وإستراتيجياً.

من الممكن إخلال توازن عدو تقليدي وهزيمته من خلال المناورة على الأرض، والتاريخ زاخر بالأمثلة، فخلال حرب الأيام الستة، وكجزء من مناورة برية شاملة من قبل القيادة الجنوبية، أخلَّت الفرقة ٣٨ بتوازن القوات المصرية التي كانت تدافع عن وسط سيناء وهزمتها في معارك " أم قطيف". وبشكل مشابه، وفي أيار ١٩٤٠، أدت مناورة الإلمان من خلال الأردينز الى داخل فرنسا الى الإخلال بتوازن القوات الفرنسية والبريطانية على طول الجبهة الداخلية، من طرفها الغربي من خط ماجينو وصولاً الى الساحل، وهزموهم. وخلال حرب لبنان الثانية، فوَّت جيش الدفاع الإسرائيلي على نفسه فرصة القيام بالشيئ نفسه بحزب الله في لبنان وهزيمته، حتى ولو لوقت محدود، برغم حقيقة توفر كل الشروط لديه للقيام بذلك. أما السبب الرئيسي لذلك فكان مناورة برية غير فعالة.

إن القدرة على المناورة هو نتاج زيادة القوة، ولذلك يجب مراجعتها بما يتعلق بكل مكوناتها: العقيدة، السلاح والتجهيزات، القوات المتوفرة، القوة البشرية، التدريب والتزود بالمعرفة والمهارة، والقابلية للقيادة. وتتطلب المناورة إندماجاً فعالاً يجمع كل هذه العناصر معاً بشكل حكيم تحت قيادة مفوضة واحدة ذات قدرات عملانية تمتلك قدرة على فهم العقائد والمذاهب ذات الصلة بالحرب، في الوقت الذي تعمل فيه هذه القيادة على تفاعل هذه العناصر بسلاسة مع منظمات مدنية مختلفة كجزء من الجهد المبذول.

إن الطبيعة الحاسمة لمناورة برية في صراعات من مختلف الأنواع تعتبر طبيعة إستراتيجية وثقافية. ففي المصطلحات الإستراتيجية، تعتبر عدم الخسارة نصراً من قبل أعداء إسرائيل. إن هذا الوضع يمكّن أعداءها، نتيجة التفوق التكنولوجي والعسكري التقليدي لإسرائيل، من خلق معادلة قرار جديدة عن طريق إطلاق صواريخ أرض – أرض. فعدم الخسارة المقترن مع إستتراف إسرائيلي، يخلق مكاسب إستراتيجية بالنسبة للعدو، حتى ولو بعد عملية طويلة. إن الحل الإستراتيجي لهذه المشكلة هو حل معقد ومتعدد الأبعاد، كما أن المناورة على الأرض تعتبر عنصر أساسي لا مفر منه في هذا الحل. أما من وجهة نظر ثقافية، فالمناورة على الأرض أمر شديد الأهمية لأن مكانة الأرض نفسها من وجهة نظر العرب الشاملة ذات أهمية عظمى في تأويل النصر والهزيمة.

إن الحاجة للمناورة على الأرض لتقرير حرب أمر معروف في التاريخ العسكري. أما في حالة جيش الدفاع الإسرائيلي، فإن هذه الحاجة ناشئة من واقع إختيار العرب، على مدى السنوات القليلة الماضية، العمل من بعيد وتجنب مواجهة مباشرة مع قوات جيش الدفاع. ففي حرب لبنان الثانية، قام الجانب الآخر بتشغيل السلاح مثل صواريخ أرض – أرض و الصواريخ المضادة للدبابات في الوقت الذي تجنب فيه حصول مواجهة مباشرة، مفترضاً أن قواته الخاصة التي تقوم بتشغيل تلك الصواريخ سيتم مهاجمتها على الأرض. هذا الأمر صحيح بخصوص كل من منظمات العصابات والدول العدوة. فإطلاق النار عن بعد هي الطريقة المفضلة للجانب الآخر للحصول على مكسب في القتال مع إسرائيل ولتجنب مواجهة مباشرة يكون مكسب إسرائيل فيها واضحاً، سواء في تشكيلات جيشها ونطاق قدراتها العملانية. ولذلك فإن المناورة على الأرض هي الرد الضروري المطلوب الذي يمكن أن يكون له تأثير للحصول على النصر على المستوى الإستراتيجي في الصراعات الدائرة بين إسرائيل وأعدائها.

إن القدرة الإستثنائية لجيوش نظامية غنية تكنولوجياً من جهة، ورغبة قوات العصابات والإرهاب بتوظيف التكنولوجيا الأساسية للسلاح والتجهيزات من جهة أخرى، يمكن أن يخلق وهماً بأن القوة النارية تمثل عنصراً حاسماً يحدد طبيعة ساحة المعركة مستقبلاً. بالواقع، إن نتيجة توجيه قوة نارية ضد العدو سيكون في أفضل الأحوال إستترافه بنسبة متغيرة، وفي أسوأها، إذا ما نجا، خلق شعور بعدم الخسارة. إن المناورة على الأرض، من جهة أخرى ضرورة تتطلب مواجهة مباشرة مع العدو، سواء كان هذا العدو جيشاً نظامياً أم قوة عصابات، وإحداث نتيجة عملانية واضحة.

إخراج العدو عن توازنه من خلال مناورة

تلعب المناورة البرية دوراً حاسماً في إخراج العدو عن توازنه نتيجة لقدرتها العملانية المتأصلة فيها: الحركة والقوة النارية. فالقدرة على الدخول في مواجهة مباشرة أثناء إطلاق النار يجعل المناورة البرية عنصراً حاسماً. إن إحدى تعريفات القرار هي فقدان العدو لقدرته على العمل بفعالية، والتي يضيف إليها "كلوزويتز" فقدان الإرادة للقتال. هذا القرار ناتج عن فقدان التوازن. إن القرار هو حدث محدود في الزمان والمكان، والى الحد الذي تصبح فيه طبيعة الحرب لا متماثلة أكثر فأكثر، لا تحصل هذه الفرضية سوى على التأكيد المصداقية. ولذلك، فإن فقدان الحافز للقتال أمر غير ذي صلة بمرور الوقت. فكلما كنا مشتبكين أكثر بحرب

ضد قوات العصابات والإرهاب، كلما كان ذلك الدافع هو وظيفة هزيمة في المعركة أقل، كما كان الحال في زمن " كلوزويتز".

إن إخراج العدو عن توازنه هو عمل مفاجأة، الذي يخلق ردوداً غير منسقة وغير مترابطة في أنظمته العملانية كما يشوش قدرته على العمل بفعالية. ويُعبَّر عن فقدان التوازن بشكل رئيسي في : عدم القدرة على تنفيذ مهمات في الوقت المخصص؛ عدم القدرة على تشغيل منظومات الحرب المركزية؛ عدم القدرة على الإستفادة من إحتياطيات الحرب، وعدم القدرة على القيادة والتحكم بالقوات المعنية (قوات العصابات والإرهاب). ففي أفضل الأحوال، لا يتم تحقيق الأهداف العملانية، وفي أسوأها ، يُهزم المرء. إن أهمية فقدان التوازن العملاني هي:

- فقدان قدرة القيادة العملانية.
- فقدات الإتصال مع الهدف، وعدم فهم السبب للقتال.
- فقدان القدرات العملانية للعناصر، كالجنود، القياديين، والسلاح.
- فقدان المصداقية بين أوساط القادة على المستوى القيادي للصف العملاني.
- فقدان تلاحم وتماسك الوحدات العملانية.

القوة النارية: ليست البديل لمناورة برية

بإمكان القوة النارية أن تساعد لكنها لا تحل مكان المناورة البرية. فالمناورة على الأرض تدعم جهود إطلاق النار لأن الحركة التي تخلقها في ساحة المعركة تحرك الميدان وتخلق أهدافاً إضافية لمنظومات إطلاق النار. في كل الأحوال، إن السبب الرئيسي لكون القوة النارية ليس بديلاً لمناورة برية هو الواقع السيكولوجي المُثبت بأن القوة النارية وحدها لا يمكن أن تفقد العدو توازنه. إن هجوماً عسكرياً كبيراً لإلحاق الضرر بقدرة القيادة العملانية عن طريق تدمير أهداف لم يؤت ثماره في حرب حديثة، ويبدو بأن أي إطلاق نار دقيق سيستحق رداً من الجانب الآخر.

إن قدرة نظام القيادة على إعادة التجمع، حتى عندما يكون متضرراً، هو أمر مذهل، كما أن القدرة البشرية على الإستبدال لتحل منظومات ممكننة محلها بمرور الوقت كان شيئاً مُثبتاً في عدد من الحروب الحديثة. إن إعادة التجمع متوازية بشكل وثيق مع طبيعة حرب العصابات والإرهاب، التي ليس فيها إعتماد كبير على منظومات قيادة ممكننة. إن القوى الممكننة يمكن قيادتها من خلال وسائل بسيطة، بحيث أن تدمير عناصر منظومة القيادة ، كمراكز التحكم وعناصر التحكم الممكننة، لا يؤدي الى تعليق وظيفة النظام بكامله. كما أن من الضروري إلحاق الأذى بالقادة أنفسهم، لكن ذلك أمر صعب عن بعد.

إن مهاجمة قوات وبنية تحتية عملانية وإستراتيجية بقوة نارية هو ميزة عظيمة للقوة النارية. فتدمير أهداف من أنواع مختلفة، بدءاً من أهداف عسكرية وصولاً الى البنية التحتية، يُضعف قدرة العدو العملانية على الإستيعاب كما يضعف قدرته الإستراتيجية على التحمل والإستمرار. إن القدرة على التخطيط لقوة نارية بناء على مراكز ثقل وبالتنسيق ضد مجموعات أهداف مصنفة وفقاً لنماذج متنوعة يجعل من الممكن تشغيل قوة نارية منهجية تُضعف البنية الكاملة للعدو. فالقوة النارية تؤثر

على قدرة القيادة، لكنها ليست كافية لإفقادها توازنها، لأن القدرة البشرية على التكيف مع نيران آتية هي أكبر من قدرة القوة النارية على إفقاد الشخص توازنه. ومن جهة أخرى، فإن إحكام القبضة على الأرض هي وصفة مجربة وصحيحة لجعل قدرته على التكيف تنهار. ففي حالة العصابات والمنظمات الإرهابية، فإن الإنتقال الى قوات لا مركزية في الوقت الذي تكون فيه القوة النارية مدربة على تركيز الأهداف، والإستخدام المحدود لمنظومات مُمكننة للقيادة والتحكم، كلها تعمل على إشتداد مشكلة إستخدام القوة النارية لتقرير النتيجة.

وفي حرب لبنان الثانية، كان هناك أهداف ذات نوعية للهجوم عليها. ويقدم نجاح جيش الدفاع الإسرائيلي المعلن بشأن تحييد القاذفات الصاروخية الطويلة المدى إثباتاً على هذا الأمر. وكان الإفتقار العملاني لمناورة برية خلال الحرب يعني بأن معظم الهجمات على صواريخ أرض – أرض القصيرة المدى حدثت بعدما سبق ووضعت القاذفات قيد الإستعمال. إن المناورات البرية بالترادف مع تشغيل القوة النارية كانت لتكشف بعضاً من القاذفات، وتتسبب بتحرك من جانب مقاتلي حزب الله وقياداته، كما كانت لتخلق عدداً من الأهداف النوعية لهجمات على صواريخ قصيرة المدى. وقد فشلت الجهود المبذولة ضد الصواريخ القصيرة المدى بسبب القرار بإسقاط العناصر الأساسية لمناورات برية: تحرك سريع، نيران داعمة مباشرة، وحيل تكتيكية ومناورات عسكرية.

نيران مضادة للدبابات ومناورات برية

هناك ميل لعزو خاصية القدرة العملانية الى الصواريخ المضادة للدبابات التي تمنع القدرة على المناورة. هذا خطأ. إن ميزة الصواريخ المضادة للدبابات هي في سهولة تشغيلها وفي حقيقة إمكانية تسليح الآلاف من رجال المشاة بها. إن الصاروخ المضاد للدبابات ليس جديداً على ميدان جيش الدفاع الإسرائيلي. فهو كان قد ظهر قبل حرب يوم الغفران، وقد خلق إستخدامه آنئذٍ، وفي حروب أخرى منذ ذلك الحين، قوة تأثير موازن لعمل الدبابة. ففي السنوات الأولى، تم تطوير التقنيات لتشغيل الدبابات بالإتحاد مع المشاة والمدفعية لمكافحة الصواريخ المضادة للدبابات. وبشكل مشابه لتطور الرد العملاني للسلاح الجو بخصوص صواريخ أرض – جو، يتألف الرد على الصاروخ المضاد للدبابات من عدد من المكونات أيضاً التي تخلق ظروفاً عملانية للعمل والمناورة حتى في بيئة صواريخ مضادة للدروع.

إن تهديد الصواريخ المضادة للدروع يحد من المناورة في حرب حديثة لكنه لا يمحيها. فتطوير رد عملاني على الصاروخ المضاد للدبابات الى الحد المعترف به اليوم كشيئ أساسي وحيوي ليس مشكلة الفيالق المدرعة فقط وإنما مشكلة التشكيلة الكاملة للقوات البرية. إن الرد الموجود على هذا التهديد هو رد جزئي وناقص من نواح عديدة، لأن محاولة مكافحته هي محاولة سلبية، ما يعني، مكافحته من خلال تعزيز درع الدبابة، بدلاً من أن يكون ذلك من خلال مجهود شامل ومنهجي للرد على التهديد والذي يجمع ما بين الهجوم والدفاع. إن تدريعاً أفضل هو أمر هام، لكنه جزء من الحل فقط، وبسبب ما هو معلوم من التهديد الصاروخي المضاد للدبابات، فإنه من الضروري تحويل التشديد على خلق رد عملاني الى مهاجمة سلسلة مكونات القدرة الصاروخية المضادة للدبابات. إن مقاربة كهذه ستخلق في النهاية قدرة عملانية شاملة تتخطى حدود المناورات المفروضة بسبب التهديد الصاروخي المضاد للدروع.

إن خبرة سلاح الجو حول العالم في التغلب على صواريخ أرض – جو لهو مثال عن المجهود الناجح لمعالجة المشكلة. فالتعامل مع سلسلة مكونات القدرة من خلال إستخدام جهود متوازية، ما يعني التطور التكنولوجي وتطوير طرق التفكير ومذاهب الحرب، أدى الى حلول فعالة بإستخدام القوة الجوية ضد تهديدات أرض – جو. أما الأمر ذي الأهمية المحددة فكان مقاربة التعامل مع نطاق عناصر المشكلة، بالإضافة الى إدراك ضرورة خلق حلول عملانية يكون ممكناً فيها إستخدام قوة جوية.

أما اليوم، فإن الرد على الصاروخ المضاد للدروع، رغم جزئيته، أمر متوفر، بشرط أن تتغير المقاربة بخصوص تحديد الرد العملاني على التهديد. إن كل المكونات موجودة، وبالإمكان التأثير على إندماجها، كما أن من الممكن اليوم تحسين قدرة الجيوش على المناورة بشكل هام في مناطق مشبعة بالنيران المضادة للدروع. فما نحن بحاجة إليه هو تغيير مفاهيمي سيتم التعبير عنه على أنه عمل ضد سلسلة كاملة من مكونات التهديد، الى جانب تطوير متسارع لتدريع معزز. إن تغييراً كهذا سيقود الى تخطيط عملاني يخفض من تهديد الصواريخ المضادة للدروع الى حد كبير، كما أن القيود الفروضة على المناورة البرية ستتقلص الى حد كبير.

إن تصريحات من نوع " من المستحيل تجاوز مشكلة الصواريخ المضادة للدروع" يجب التوقف عندها. فهي تقود الى تجاهل القدرات العملانية الموجودة، وتشرعن وضع حد لتطوير رد عملاني شامل تجاه التهديد. إن عقلية كهذه تعتبر خطيرة، لأنها بدلاً من تطوير رد عملاني بإستخدام قدرات المناورة، فإننا نحاول أن نجد "شيئاً آخر" قد يحقق النتيجة العملانية المطلوبة بدلاً من القيام بمناورة برية. أما المثال الصاعق فكانت المناورة البرية غير الفعالة في حرب لبنان الثانية.

الخطر الذي يتهدد المناورة البرية كعنصر مُقرِّر حاسم

كانت المناورة البرية لجيش الدفاع الإسرائيلي في حرب لبنان الثانية غير فعالة بشدة. فالمواجهة بين حرب مناورة لجيش نظامي وبين نموذج ثوري من الحرب، تحديداً نسخة حزب الله التي كان التهديد الرئيسي فيها إطلاق صواريخ أرض – أرض ضد أهداف مدنية داخل إسرائيل، هي مواجهة تقود بشكل سهل جداً الى تآكل المناورة كعامل رئيسي في القرار. إن قدرة المناورة المنهكة هي بتأثير هجمات العصابات المتواصلة على عدد كبير من العوامل التي تخلق قدرة المناورة. فهجمات العصابات مصوبة على الوصلات الضعيفة في هذه القدرة، ما يجعل قوات المناورة عرضة للإستهداف. إن إعاقة المناورة تكراراً بواسطة كمائن مضادة للدروع وشهنات متفجرة في تقاطعات لا يمكن تجنبها، في مناطق تمثل صعوبات طوبوغرافية (المناطق الجبلية للبنان، على سبيل المثال)، تدمير القدرة اللوجستية بمهاجمة قوافل لوجستية بواسطة قوات صغيرة – كل هذا بالإضافة الى جهود مشابهة أمور يمكن الإعتماد عليها لإبطاء القتال والتأثير على إستمراريته، وبالتحديد، التأثير على تصميم القوة المناورة. وهذا في الواقع هو هدف حرب العصابات: إستنزاف قوى القوة المهيمنة بمرور الوقت. إن عدداً كبيراً من العمليات في أي مكان وأي زمان، بالليل أو بالنهار، يؤدي الى إنهاك القدرة على المناورة. فإلى حد كبير، كان هذا ما حدث للقوات السوفياتية في أفغانستان في الثمانينات.

فما الذي يمكن إعتباره نصراً ضد قوات العصابات والإرهاب، ويكون بالإمكان الحصول عليه؟ ما هي أهمية تحقيق نصر ضد هذه القوات؟ إن الميزة الكبيرة لقوات العصابات والإرهاب هي قدرتها على إعادة التجمع بعد الهزائم، ما عدا بالحالات التي يتم

فيها إستئصال القيادتين العسكرية والسياسية، وهو وضع يسبب فتور الطاقة الإيديولوجية وفقدانها لقوتها. إنها وظيفة تتعلق بالقوة الداخلية التي على منظمات العصابات والإرهاب إعادة تأهيل نفسها بها وإكمال نزاعهم في مكان وزمان آخريْن. ولذلك، وبالعودة الى النصر فإنه مقيد هنا بالمكان والزمان. أما بالنسبة للغاية من النقاش الآتي لاحقاً حول النصر في الصراع، فإن حزب الله هو العدو المحدد في زمن محدد.

بالإمكان الحاق الهزيمة بقوات العصابات والإرهاب في صراع محدود في الزمان والمكان بإستخدام مقاربة المناورة البرية. ويمكن أن تكون عبر المناورة العملاقة الكلاسيكية، والمعتادة من حروب بين جيوش نظامية كبيرة، أو مناورات من النوع الجاري في يهودا والسامرة منذ " عملية الدرع الدفاعي"، والتي تشكلت من سلسلة من المناورات التكتيكية التي تحدث ترادفياً على جبهات مختلفة. فخلال عامي ٢٠٠٣ – ٢٠٠٥، بدأ جيش الدفاع الإسرائيلي العمل في يهودا والسامرة مستخدماً تحركات مناورة مستمرة من دون توقف والتي تقود مبادئها الرئيسية القتال ضد الإرهابيين حتى هذا اليوم. فالتحرك والقوة النارية يتم التعبير عنهما في عمليات مستمرة من دون توقف، فالأساس في القضية هو السعي بجهد لمواجهة مباشرة مع العدو. وفي هذا السياق، فإن المقولة التالية تم إبتكارها في القيادة الوسطى: " يجب محاربة الإرهاب بسلاح الـ M – 16، وليس بطاائرة الـ F – 16". إن هذا توجيه مُثبت والذي، لسبب ما، لم يتم توجيهه للقيادة الشمالية عندما كانت تحاول وقف إطلاق الكاتيوشا على منطقتها.

إنها المناورة البرية التي تسمح بإحتكاك مباشر مع العصابات. فقبل المواجهة المباشرة، يُقصد من تحضير مسرح المعركة من خلال وسائل متنوعة خلق ظروف عملانية أمثل وأفضل، بما يتعلق بالإستخبارات، القوة النارية، وما الى ذلك، لخرق قدرة العصابات على الإحتمال والإستمرار وجعل المواجهة المباشرة هادئة ومتماسكة قدر الإمكان. وهذا الأمر بدوره، يسمح بمناورة فعالة على الأرض تحقق أهدافها بأدنى حد ممكن من الضحايا وبأدنى حد من إلحاق الضرر بالسلاح والتجهيزات، مناورة يمكن إستخدامها في النهاية لتحقيق مكاسب إستراتيجية. إن المناورة الفاشلة في لبنان، التي لم تجلب القدرات الموجودة لجيش الدفاع وتدفع بها الى الواجهة، أثرت على الوضع الإستراتيجي في جنوب لبنان. فلو أن المناورة كانت ناجحة من منظور تكتيكي، فإن إعادة تجمع حزب الله بما يتعلق بالمقاتلين، السلاح والتجهيزات، وخاصة في التصميم، كان ليأخذ وقتاً أطول.

ويثبت التاريخ بأن من المستحيل سحق روح شعب يولد القوة القتالية للعصابات. في كل الأحوال، من الممكن، ومن الإلزامي، إلحاق ضرر مهم وخطير بقدرة العصابات المادية، ما يعني إلحاق الضرر بمقاتليهم، لسلاحهم، تجهيزاتهم، والقدرة على التحكم بنطاق عملياتهم. إن القيام بذلك سيجعل من الممكن العمل بأبعاد أخرى، على مدى فترة ممتدة من الزمن، من دون التعرض لخطر نيران العصابات.. فكلما طال الإطار الزمني الإستراتيجي، كلما كان ذلك أفضل. وهذا الأمر مشابه لمقاربة بن غوريون الأساسية بتحديد النتيجة وجهاً لوجه مع العرب، مقاربة دعمت الفوز في كل جولة من الصراع معلقة أهمية ثانوية على المواجهة المقبلة. ففي أسلوب كهذا، من الممكن، بمرور الوقت، الوصول الى ترتيب إستراتيجي/سياسي آخر يظهر فيه كل الأفرقاء منتصرين في الصراع. إن المناورة البرية فقط هي التي تسمح بالإيقاع بمقاتلي العصابات في الشرك. وبالرغم أنها ليست العنصر الوحيد في تحقيق النصر ضدهم، فإنها شيئ ضروري لا مفر منه.

لقد كان الخطأ الأكبر في حرب لبنان الثانية هو الإنتقال الى حرب إستنزاف ممتدة ضد العصابات والإرهابيين من خلال منع إطلاق النيران رغبة بتجنب سقوط ضحايا. بمعنى آخر، إن رداً عملانياً على صواريخ أرض – أرض، بناء على حرب إستنزاف تستخدم القوة النارية فقط ، هو أمر خاطئ. فمهما يكن من أمر هذا الذي يقاتل بهذه الطريقة رغبة منه بالحصول على النصر من دون تكبد خسائر، لا يحصل في الواقع على نصر، ويدفع ثمناً لذلك في النهاية عدداً أكبر من الضحايا. فالأكيد هو أن المناورة البرية تتضمن دوماً ثمناً في سقوط ضحايا، لكن إذا ما تركت تأثيراً صحيحاً، فمن الممكن أن تحقق نتيجة حاسمة بأدنى حد من الخسائر.

إن مبدأ المناورة ضد قوات العصابات والإرهاب لا يمكن أن يعتمد على التحكم الإداري على المسرح، إنما يستلزم تحكم إستخباراتي عميق، ثابت، وممتد ضمن هذا المسرح. وهذا الوضع يسمح بالمناورة، تنفيذ عمليات الإعتقال، والتخلص من أعشاش الإرهابيين. إن تكرار أنشطة من هذا النوع ينقل الإرهابين في النهاية الى مناطق بعيدة أكثر عن الأماكن المأهولة، يخلق حالة ردع، ويحقق مكاسب عملانية صلبة، كما حدث في يهودا والسامرة على مدى السنوات الثلاث الماضية.

إن المناورة البرية الفعالة هي القيام بمناورة ذات أهداف محددة وخلق حالة عقاب مستمر للعدو، ما ينتهي بفرض ردع. إن هدف القيام بالمناورة يمكن أن يكون الحصول على نتيجة حاسمة أو قد يكون هدفاً عقابياً، ما يعني تحقيق نتيجة عملانية محددة، محدودة في المكان والزمان، وخلق حالة ردع. ولذلك، على جيش الدفاع الإسرائيلي أن يكون جاهزاً ومستعداً للمناورة على الأرض في أي وقت، كما على الصف السياسي أن يكون مستعداً للمصادقة على أنشطة مكررة حتى تحقيق النتيجة الإستراتيجية المطلوبة – العقاب والردع.

وفي مقالة تعالج قتال جيش الدفاع في قطاع غزة، يزعم المايجور جنرال البروفسور إسحاق بن إسرائيل قائلاً: " لأن التكنولوجيا لا تستطيع توفير رد على صواريخ القسام التي يتم إطلاقها على المستوطنات في النقب، فلا خيار أمام إسرائيل إلا إستخدام جبروتها والمناورة داخل قطاع غزة لخلق حالة ردع بمرور الوقت." وهذا يعني بأنه حتى عند محاربة قوات العصابات والإرهاب ، فإن الحركة والقوة النارية، خاصة عنصر التحرك بمعناه الواسع، أمران شديدا الأهمية. إن رغبة قوات العصابات والإرهاب بجر إسرائيل الى حرب ممتدة، بناء على الإستنزاف بواسطة القوة النارية، هو خطر مميت قد يقود الى فقدان الإرادة للمناورة والى بحث لا ينتهي عن طريقة للقتال مرة أخرى.

الإستنتاج: دمج المناورة مع القوة النارية

في الحروب التقليدية، خلقت التكنولوجيا التي تسمح بالقيام بهجمات مضادة على أهداف عديدة توقعاً بأن من الممكن تحقيق نتائج مشابهة والقيام بهجوم مضاد بشكل فعال أيضاً عندما يكون العدو مشكلاً من عصابات وقوات إرهابية.

لقد تم التقليل، بشدة، من شأن فهم المناورة كعامل مقرِّر حاسم ومركزي لجيش الدفاع الإسرائيلي، ولذلك فإن عملية التصحيح ستأخذ وقتاً طويلاً جداً. ومع ذلك، فإنه تصحيح أساسي وجوهري، وإلا فإن عدم الخسارة سيصبح المفهوم الذي قد غير طبيعة الحرب في هذه الحقبة من حرب مناورة الى حرب إستنزاف. وعلى جيش الدفاع أن يتكيف مع عملية فعالة لقواته

بصفتها قوة مناورة ضد العصابات. إن التردد بإستخدام قوات متحدة معاً مع جهود مناورة برية سيقود من دون شك الى نجاح حرب العصابات والإرهاب.

فقد تبنى حزب الله في حرب لبنان الثانية أسلوب هجوم لمعركة تجمع عناصر دفاعية، إذ كان هجومه الرئيسي – بالترادف مع جهود دفاعية صوّبت على المناورة غير المتكافئة، المربكة، والمترددة لجيش الدفاع – إطلاق صواريخ أرض – أرض من دون هوادة على إسرائيل. وكان الهدف من حربه التكتيكية التمكن من إطلاق الصواريخ، في الوقت الذي يعمل فيه على زيادة الأضرار اللاحقة بالقوات الإسرائيلية الى أقصى حد مع محاولة أخذ جنود رهائن. لقد جمع حزب الله ما بين مناورة برية مع قوة نارية معاً مع حرب عصابات بتشكيلاته البرية، بتحصيناته، وفي البلدات الصغيرة وفي " إحتياطيات الطبيعة".

إن هجوماً لجيش الدفاع الإسرائيلي على حزب الله مع كتلة مناورة شديدة ضد أهداف محددة مع سلسلة من الغارات العميقة داخل قواته، المدفوعان معاً بنفس هدف القرار، كان ليوفر من دون شك إتجاهاً عملانياً واضحاً في حرب لبنان الثانية. فـ " الإعاقة والتمشيط" كأسلوب معركة طورها السوفيات في العام ١٩٨٥ في أفغانستان، كانت لتكون فعالة ضد " إحتياطيات الطبيعة" وضد بلدات حزب الله. ففي أي حال من الأحوال، كان توجهاً كهذا ليكون مناورة فعالة جداً ضد حزب الله وكان ليلحق الضرر بالمنظمة لفترة طويلة من الزمن، تحديداً في قدرته على إعادة التجمع.

إن إستراتيجية إسرائيل لم تتغير على مدى ٦٠ عاماً من وجودها. فالإستراتيجية دفاعية في حين أن التكتيكات هجومية. ما يعني بأنه إذا ما فُرضت الحرب على إسرائيل، فإن الرد العملاني المطلوب هو واحد لناحية الهجوم والنتيجة الحاسمة. فمن خلال جيش الدفاع الإسرائيلي ومؤسسات أمنية أخرى، على إسرائيل نقل الحرب الى أرض العدو والتصويب للحصول على نتيجة حاسمة بأسرع وقت ممكن.

وحتى حرب ٢٠٠٦، كان القيام بالمناورة عموماً، والمناورة على الأرض تحديداً، السمة الدامغة للجوهر الإستراتيجي لجيش الدفاع الإسرائيلي. وقد علمتنا حرب لبنان الثانية درساً بأن المبدأ الذي رسخه بن غوريون، بما يتعلق بنقل القتال الى أرض العدو بإستخدام مناورات من كل الأنواع، كان هو ما أنشأ قدرة الردع لإسرائيل. إن المناورة الجوية تردع بمعنى أن إسرائيل قادرة على الرد بسرعة وفعالية ضد تهديدات إستراتيجية.

إن الدمج الصحيح أمر بسيط، مجرَّب، ومألوف: دمج المناورة والقوة النارية في كل بعد من الأبعاد وعلى كل المستويات. ما يحملنا على التذكر بأنه لم يكن هناك من حرب واحدة لم يكن مطلوباً فيها من جيش الدفاع نقل القتال الى أرض العدو. ولذلك، فإن المناورة البرية كعنصر لنتيجة حاسمة، أمر شديد الأهمية لأي تعريف محدد لنتيجة حاسمة. إنها الأساس لتفعيل قوة عسكرية في وضع إستراتيجي لإسرائيل. إن القدرة على المناورة في أوساط جيوش حديثة، بما فيها جيش الدفاع الإسرائيلي، هي قدرة أساسية؛ إن ظروف نجاحها هي الخليط الصحيح المؤلف من تشكيلة قوات تسمح بالقيام بمعارك مشتركة وموحدة، مع أسلحة وتجهيزات، قوة بشرية كفوءة وماهرة مدربة على المناورة، مع تدريب عسكري حديث. كل هذه الأمور يُفترض أن تعتمد على مفهوم عملاني كامل يكون هدفه الحصول على نتيجة حاسمة، وعلى عقيدة تكتيكية للحرب، و مذاهب قيادة وتحكم بسيطة وفعالة، وعلى قدرات قيادية متفوقة على تلك التي للعدو بكثير. وبشكل محتمل، يمتلك جيش الدفاع الإسرائيلي

كل هذه القدرات، وتحديداً القياديين المدربين كما يمتلك تقليد القيادة المستقلة. وعلى جيش الدفاع أن يحافظ على بقاء سلسلة هذه العناصر على مستوى عال من اللياقة العملانية، على إمتداد فترة غير محدودة من الزمن.

إن الإستنتاج واضح: في مواجهة بين قوات عصابات وإرهاب وبين جيش الدفاع الإسرائيلي، لا يمكن لجيش الدفاع إغفال إستخدام المناورة البرية داخل أرض العدو كعنصر رئيسي للحصول على نتيجة حاسمة. إن تعاوناً متبادلاً مؤسساتياً وبين الأقسام الداخلية تحت سلطة مؤلفة من قائد واحد يسمح بحصول مناورة برية فعالة. إن وجودها سيتيح الحصول على نتيجة حاسمة، وسيمنع " الجمود" في ساحة المعركة، والذي تتمثل أهميته، مع ما هو معلوم من ظروف إسرائيل الإستراتيجية، عدم خسارة بالنسبة للعدو، التي هي في الواقع خسارة بالنسبة لإسرائيل. إن المناورة البرية ليست كافية للحصول على النصر، لكنها شرط أساسي لها.